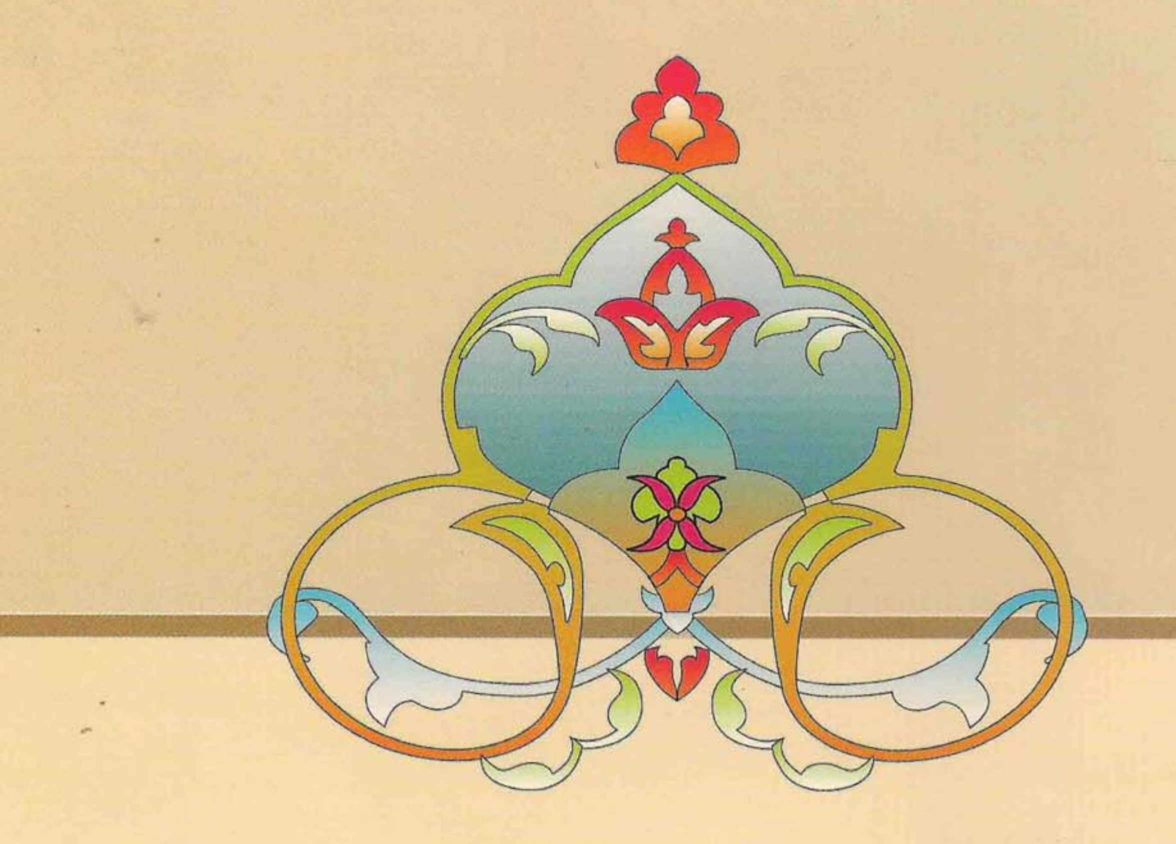
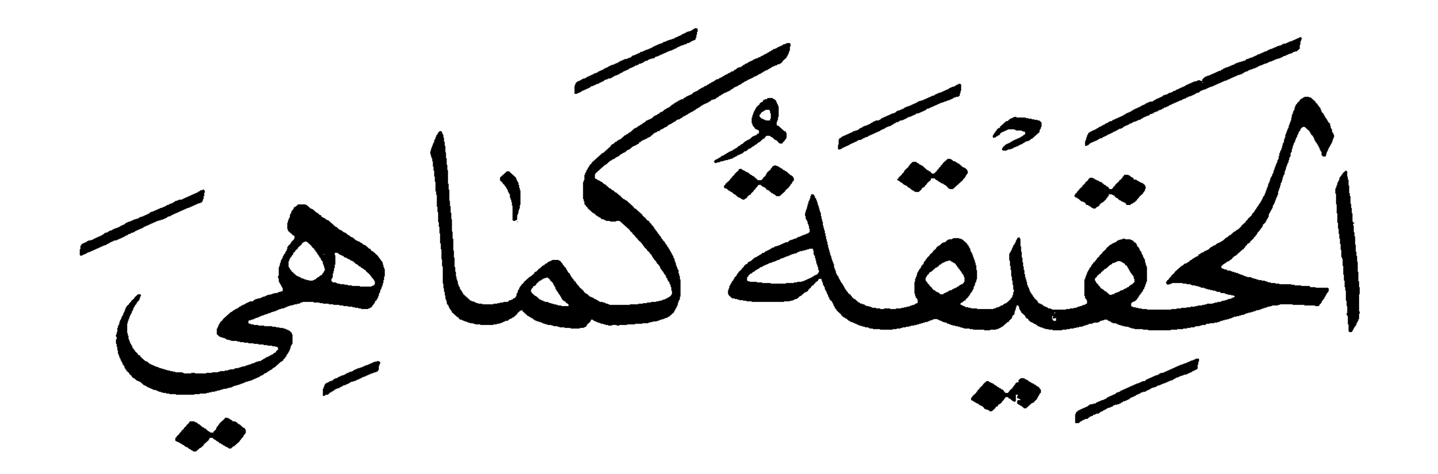



الحَقِيقَةُ كَمَا هِيَ

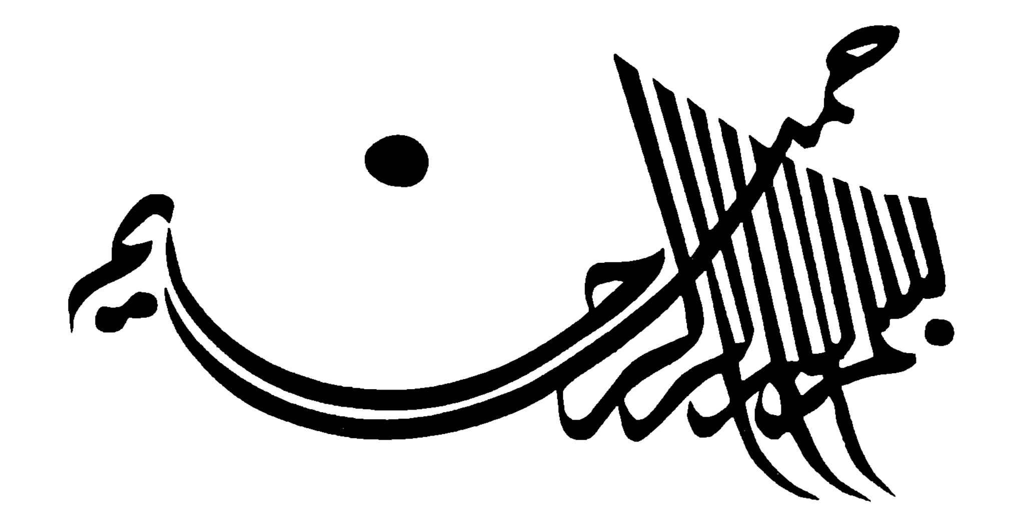
العلامة الشيخ
جعفر الهادي



العلامة الشيخ جعفر الهادي



يوزّع مجّاناً
دار التبليغ الإسلامي
قسم التحقيق والنشر والطباعة
daraltabligh@gawab.com


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصّلاة والسّلام على محمدٍ

وآله الطّاهرين

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

دار التبليغ الإسلامي

دمشق - السيدة زينب (عليها السلام) - هاتف: ٦٤٧٠٩٧١ - ص.ب: ٤٦٧

Email: daraltabligh@gawab.com

الحاجةُ إلى التعارف

﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾

جاء الإسلامُ والشعوبُ متفرّقة متناكرة، بل ومتصارعة متناحرة، ولكن سرعانَ ما حلّ التعارفُ محلّ التناكر، والتعاونُ محلّ التخاصم، والتواصل محلّ التدابر، بفضل تعاليم الإسلام التوحيديّة، فكانت المحصّلة أن ظَهرتْ إلى الوجود تلك الأُمّة الواحدةُ العظيمة التي قدّمت ذلك العطاء الحضاري العظيم، كما وحَمَت شعوبها من كلّ غاشم وظالم وصارت تلك الأُمّة المحترَمةُ بين شعوبِ العالَم وتلك الكتلة المُهابة في اعيون الطغاة والجبّارين.

ولم يكن ليتحقّق ذلك ـ كله ـ إلاّ بسبب وحدتها، وتواصُل شعوبها الذي حصلتْ عليه تحت مظلّةِ الإسلام، رغم تنوعِ الأجناس، واختلافِ الاجتهادات، وتعدّدِ الثقافات وتباين الأعراف والتقاليد، إذ كان يكفي الاتفاقُ في الأصول والأسس، والفرائض والواجبات، فالوحدةُ قوّة، والفُرقة ضَعف.

وجرى الأمر على هذا المنوال حتّى انقلب التعارفُ إلى تناكر، والتفاهم إلى تنافر، وكفّرت الجماعاتُ بعضها بعضاً، وضربت الفصائل بعضها بعضاً فزالت العزّةُ وَتحطّمت الشّوكة وسقطت الهيبةُ وَاستخفّت الطغاة بتلك الأُمّةَ الرائدة القائدة حتّى جالت في ربوعها الثعالبُ والذؤبان، وجاست خلال ديارها شذّاذُ الآفاق وملاعين الله ومغضوبو البشريّة، فثرواتُها منهوبة، ومقدّساتها مُهانة، وأعراضها تحت رحمة الفجّار، وسقوطات تلو سقوطات، وهزائمُ اثر هزائم، وانتكاسات في الأندلس وبخارى وسمرقند وطاشقند وبغداد، قديماً وحديثاً وفلسطين وأفغانستان.

وإذا هي تدعو فلا تُجاب، وتستغيثُ فلا تُغاث، كيفَ والدّاء شيء آخر، كما وانّ الدواء شيء آخر كذلك، وقد أبى الله أن يجرى الأُمور إلا بأسبابها، ولا يصلُحُ آخر أمرِ هذه الأُمّة إلا بما صَلُح به أوّلها؟

واليومَ إذ تتعرّض الأُمّة الإسلامية لأبشع حملة ضدّ كيانها، وعقيدتها ولأشرس هجمة ضدّ وحدتها، من خلال إيجاد الخلل في تعايشها المذهبي، والاجتهادي، وتكاد هذه الحملة تؤتي ثمارَها وتُعطي نتائجها، أليسَ من الحريّ بها بأن تزيد من رصّ الصفوف وتمتين العلاقات، وهي رغم تنوّعها المذهبي تشترك في الكتاب والسنّة مصدراً، وفي التوحيد والنبوّة

والإيمان بالآخرة عقيدةً، وفي الصلاة والصيام والحجّ والزكاة والجهاد والحلال والحرام شريعةً، وفي مودّة النبي الأطهر وأهل بيته صلوات الله عليهم سهم وِلاء، ومن أعدائهم بَراء وقد تتباين بعض الشيء في هذا الأمر شدّةً وضعفاً؟ فهي كأصابع اليد الواحدة في الانتهاء إلى مفصل واحد، وإن اختلفت طولا وعرضاً وشَكلا بعضَ الشيء، أو هي كالجَسَد الواحد في تعدّد جوارحِه من جهة وتعاونها في تفعيل الدّورِ الجَسَدانيّ في الكيان البشريّ من جهة أخرى مع وجودِ الاختلاف في أشكالها.

ولا يبعدُ أن تكونَ الحكمة في تشبيه الأُمّة الإسلامية باليد الواحدة تارةً، وبالجسد الواحد تارة أخرى، هي الإشارة إلى هذه الحقيقة.

لقد كان العلماء من مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية سابقاً، يعيشون جنباً إلى جنب من غير تنازع أو صدام، بل لطالما تعاونوا فيما بينهم، فشَرح بعضهم كتاب الآخر كلامياً كان أو فقهياً، وتلمّذ بعضهم على بعض وأشاد البعضُ بالآخر، وأيّد بعضهم رأى الآخر، وأعطى بعضهم اجازة الرواية للبعض الآخر، واستجاز بعضهم البعضَ لنقل الرواية من كتب مذهبه وطائفته، وصلّى بعضهم خلفَ الآخر، وائتمَّ به وزكّى بعضهم الآخر، واعترف بعضُهم بمذهب الآخر، بل وكانت هذه الطوائف، في مستوى جماهيرها تعيش جنباً إلى جنب في وداد ووئام، حتّى

يبدو وكأنّهم لا خلافَ بينهم ولا تباين، وان كان يَتَخلّل كلّ ذلك بعض النقد والردّ، إلاّ أنّه كان على الأغلب نقداً مؤدّباً، ومهذّباً، ورداً علمياً، وموضوعياً.

وثمة أدلّة حيّة وتاريخيّة عديدة على هذا التعاون العميق والعريض، وقد أثرى العلماء المسلمون بهذا التعاون التراث والثقافة الإسلامية، كما ضربوا بذل أروع الأمثلة في الحريّة المذهبيّة، هذا بالإضافة إلى أنّهم استقطبوا من خلال هذا التعاون اهتمام العالم بهم وكسبوا احترامهم.

انّه ليس من الصعب أن يجتمع علماء الأمّة ويتناقشوا بهدوء وموضوعيّة، وبإخلاص وصدق نيّة، في ما اختلفت فيه الطوائفُ وللتعرّف على أدلّة كلّ طائفة وما تقيمه من برهان.

كما أنّه من الجيّد والمعقول أن تقومَ كل طائفة وجماعة بعرضِ عقائدها، ومواقفها الفكريّة والفقهيّة في جو من الحريّة والصراحة، ليتّضح بطلان ما يُثار ضدّها من اتّهامات وشبهات، كما ويعرف الجميع: الجوامع والفوارق، ويعرفون أنّ ما يجمع المسلمين أكثر ممّا يفرقهم، وبذلك يذوب الجليد بين المسلمين.

وهذه الرسالةُ خطوة على هذا الدرب، ومن أجل أن تتضّح الحقيقة ويعرفها الجميع كما هي، والله وليّ التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسّلام على خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين محمّد واله الطّيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

١. الطائفة الجعفرية الإمامية طائفة كبيرة من المسلمين في العصر الحاضر، ويقدّرُ عددُهم بربعِ عددِ المسلمين تقريباً، وتمتد جذورهم التاريخيّة إلى صدر الإسلام يوم نزل قولُ الله تعالى في سورة البيّنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1] فوضع رسولُ الله ﷺ يده على كتف عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والصحابة حاضرون، وقال: «يا عليّ أنت وشيعتُك همْ خيرُ البَريّة» (راجع للمثال: تفسير الطبري (جامع البيان) والدرّ المنثور للعلامة السيوطي الشافعي، وتفسير روح المعاني للآلوسي البغدادي الشافعي عند تفسير الآية الحاضرة).

ومن هنا سُمّيت هذه الطائفة ـ التي تُنسب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام لكونها تتبع فقهَه ـ بالشيعة.

---

(١)سورة البينة الآية ٧.

تسكن هذه الطائفة بكثافة في إيران والعِراق وباكستان وأفغانستان والهند، وينتشرون بأعداد كبيرة في بلاد الخليج وتركيا وسوريا ولبنان وروسيا والجمهوريات المنفصلة عنها، وينتشرون أيضاً في البلاد الأوروبية كانجلترا وألمانيا وفرنسا وأمريكا والقارة الإفريقية، وبلاد شرق آسيا، ولهم فيها مساجدُ ومراكزُ علميّة وثقافيّة واجتماعيّة.

وهم يتكوّنون من مختلف الجنسيّات والأعراق واللُغات والألوان، ويعيشون جنباً إلى جنب مع إخوانهم المسلمين من الطوائف والمذاهب الأخرى في سلام ووداد، ويتعاوَنون معهم في جميع المجالات والأصعدة بصدق وإخلاص، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ...﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى...﴾[2] وتمسكاً بقول النّبي الكريم ﷺ: «المسلمون يدٌ واحدةٌ على مَن سواهم»[3] وقوله ﷺ: «المؤمنون كالجسد الواحد»[4].

---

(١)سورة الحجرات الآية ١٠.

(٢)سورة المائدة الآية ٢.

(٣)مسند أحمد ١ / ٢١٥.

(٤)البخاري، كتاب الأدب ٢٧.

٢. وكانت لهم على طول التاريخ الإسلامي مواقفُ مشرّفة ومُشرِقة في الدفاع عن الإسلام، والأُمّة الإسلامية الكريمة، كما أنه كانت لهم حكومات ودول خدمت الحضارة الإسلامية، وعلماء ومفكّرون أسهَموا في إغناء التراث الإسلامي بتأليف مئات الآلاف من المؤلفات والكتبِ الصَغيرة والكبيرة في مجال تفسير القران، والحديث، والعقيدة، والفقه والأُصول، والأخلاق، والدراية والرِجال، والفلسَفة، والموعظة، والحكومة والاجتماع، واللغة والأدب بل والطبّ والفيزياء والكيمياء والرياضيّات والفلك وغيرها من علوم الحياة، وكان لهم دورُ الباني والمؤسّس للكثير من العلوم (راجع: كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، للصدر، والذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك (الذي يقع في ٢٩ مجلداً) وكشف الظنون للأفندي ومعجم المؤلفين لكحالة، وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي، وغيرها).

٣. وهم يعتقدوِن بالله الواحدِ الأحدِ الفرد الصّمد الذي لم يلدِ ولم يُولد، ولم يكن له كفوءاً أحد، وينفون عنه الجسمانية والجهة والمكان والزمان، والتغيّر والحركة والصعود والنزول وغير ذلك مما لا يليق بجلال الله وقدسه وكماله وجماله.

و يعتقدون بأنّه هو المعبود لا سواه، وأنّ الحُكم والتَشريع له وحده

دون غيره، وأنّ الشّرك بجميع أنواعِه وألوانِه، خفيّه وجليّه، ظلم عظيم وذنب لا يُغتَفَر.

ويأخذون كلّ هَذا من العقل الحصيف المعتضد بالكتاب العزيز، والسنّة الشريفة الصحيحة مهما كان مصدرُها.

ولا يأخذون في مجال العقائد بالأحاديث الإسرائيلية (التوراتية والإنجيلية) والمجوسية التي تصور الله تعالى بصورة البشر، وتشبهه سبحانه بالمخلوقين. أو تنسب إليه الجور والظلم واللغو والعبث تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً. أو تنسب العظائم والقبائح إلى الأنبياء المطهّرين، المعصومين على الإطلاق.

٤. ويعتقدون بأنّ الله تعالى عادل حكيم، خَلَق بعدل وحكمة، ولم يخلُق شيئاً عبثاً، جماداً كان أو نباتاً، حيواناً كان أو إنساناً، سماءً كان أو أرضاً، لأنّ العبثيّة تنافي العدل والحكمة، وذلك ينافي الأُلوهيّة التي تستلزم إثبات كلّ كمال لله تعالى، ونفي كلّ نقص عنه سبحانه.

٥. ويعتقِدونَ بأنّ الله تعالى أرسل ـ بعدله وحكمته ـ إلى البشر، منذ أن بدأوا حياتهم على الأرض، أنبياءً ورسلاً، اتّصفوا بالعِصمة، وتحلّوا بالعلم الواسع، الموهوب لهم ـ عن طريق الوحي ـ من قِبَل الله، وذلك لهداية البشرية، ومساعدتها على الوصول إلى كمالها المنشود، وإرشادها إلى الطاعة

التي تؤدّى بهم إلى الجنة، وتـؤهّلهم لرحمـة الله ورضـوانه، وأبـرز هـؤلاء الأنبياء والرسل: آدم، ونوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى وغـيرهم ممـن ذكرهم القرآن الكريم أو جاءت أسماؤهم وأحوالهم في السنّة الشريفة.

٦. ويَعتقِدون بأنّ من أطاع الله، ونفّذ أوامـرَه وأجـرى قوانينَـه في شـتّى مجالات الحياة نجى وفاز، واستحقّ المدح والثوابَ، ولو كان عبداً حبشيّاً، وأنّ من عصى الله تعالى وتجاهل أوامره، وطبّـق أحكامـاً غـير أحكـام الله تعالى، خَسِر وهل واستحقّ الذّمّ والعقاب، ولو كان سيداً قرشيّاً، كما جـاء في الحديث النّبيّ الشريف.

وهم يعتقدون بأنّ محلّ الثواب والعقاب هو يومُ القيامة الذي يكـون فيه الحسابُ والميزانُ والجنّةُ والنّار، وذلك بعد المرور بعالم القبر والـبرزخ. وأمّا التناسخ الذي يقول به منكرو المعاد فيرفـضونه لاسـتلزامه تكـذيب القران الكريم والسنّة المطهّرة.

٧. ويَعتقِدونَ بأنّ اخِرَ الأنبياء والرسل وخاتِمَهم وأفـضَلَهم هـو رَسـولُ الله محمدُ بنُ عبد الله بن عبـد المطلـب ﷺ[1] الـذي صَـانَهُ الله من الخطـأ

(١) يتقيد الشيعة الإمامية بذكر آل النّبي إلى جانب اسمه عند الصلاة والتسليم عليه، لأمره ﷺ بذلك كما جاء في بعض الصحاح الستة وغيرها.

هذه الآيات هي قوله تعالى في آية التبليغ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

والزلل، وعصمَه من المعصية الكبيرة والصغيرة، قبل النبوّة وبعدها، في أُمور التبليغ وغيرها، وأنزل عليه القران الكريم، ليكون دستوراً للحياة البشرية إلى الأبَد، فبلّغ ﷺ الرسالةَ، وأدّى الأمانةَ بصدق وإخلاص، وبَذَل في هذا السبيل الغالي والرخيص.

وللشيعة في مجال الكتابة عن تاريخ رسول الله ﷺ وشخصيته وأحواله وخصوصياته ومعجزاته عشرات المؤلفات والأبحاث. (راجع: كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، وإعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسي، وموسوعة بحار الأنوار للمجلسي، وموسوعة الرسول المصطفى للسيد محسن الخاتمي مؤخّراً).

ويعتقدون بأنّ القرانَ الكريم، الذي أُنزِلَ على رسول الإسلام محمّد

وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ سورة المائدة الآية ٦٧.

و قوله تعالى في آية الإكمال {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ سورة المائدة الآية ٣ .

و قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ سورة المائدة الآية ٣ .

و قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ سورة المعارج الآية ١ و ٢.

ﷺ بواسطة جبرئيل الأمين، ودوّنَه مجموعة من الصحابة الكبار وفي مقدمتهم علي بن أبى طالب عليه السلام في عهد النبيّ الكريم محمد ﷺ، وتحت إشرافه ورعايته، وبأمره، وإرشاده، وحفظوه عن ظهر قلب، وأتقنوه، وأحصَوا حروفَه وكلماتِه، وسورَه وآياته، وتناقَلوه جيلاً بعد جيل، هو الذي يَتلُوه المسلمون اليوم بجميع طوائفهم، آناء الليل وأطراف النهار، من دون زيادة أو نقصان، أو تحريف، أو تغيير، وللشيعة في هذا المجال مؤلفات مختصَرة ومطولة كثيرة. (راجع كتاب تاريخ القرآن للزنجاني، والتمهيد في علوم القرآن لمحمد هادى معرفة، وغيرهما)..

ويعتقدون بأنّ رسول الله محمّداً ﷺ لما قَرُب أجلُه نَصَبَ عليّ بن أبي طالب خليفةً له وإماماً على المسلمين من بعده، ليقودَهم سياسيّاً، ويُرشدَهم فكريّاً، ويعالج مشاكلهم، ويواصِلَ تربيتهم وتزكيتهم، وذلك بأمر من الله تعالى في مكان يُدعى (غَدير خُم)، في أخر سنة من سِنيّ حياته، وآخر حجّة من حججه، وفي جمع هائل من المسلمين الذين حجوا معه، يزيد عددُهم ـ حسب بعض الروايات ـ على مائة ألف شخص. وقد نزلت في هذه المناسبة آيات عديدة[1].

---

(١)راجع كتاب الأئمة الإثنا عشر، تأليف مؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هجرية، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجّد . طبعة بيروت.

كما وأنّ النبي ﷺ طلب من الناس مبايعة علي عليه السلام بالصفق على يده، فبايعوه و في مقدمتهم كبار المهاجرين والأنصار ومشاهير الصحابة (راجع الغدير للعلامة الأمِيني نقلاً عن مصادر إسلامية تفسيرية وتاريخية عديدة).

ويعتقدون بأنّ الإمام ـ بعد رسول الله محمّد ﷺ ـ لمّا كان يجب عليه أن يقوم بما كان يقومُ به النّبي ﷺ في حياته من القيادة والهداية، والتربية والتعليم، وبيان الأحكام، وحلّ المشاكل الفكرية المستعصية، ومعالجة الشؤون الاجتماعية المهمّة، كان لابدّ له (أي للإمام والخليفة من بعده) من أن يكون بحيث يثق به الناسُ، وذلك ليقود الأُمّة إلى شاطيء الأمان، فهو يشارك النبيّ في المؤهِلات والصِفات، (ومنها العصمة والعلم الواسع) لأنه يشاركه في الصلاحيات والمسؤُوليات باستثناء تلقّي الوحي، والنبوّة، لأنّ النبوّة خُتِمَت بمحمّد بن عبد الله ﷺ فهو خاتم النبيين، والمرسلين، ودينه خاتم الأديان، وشريعته خاتمة الشرائع، وكتابه آخر الكتب، ولا نبيّ بعده، ولا دين بعد دينه، ولا شريعة بعد شريعته.

(وللشيعة في هذا الصعيد مؤلفات عديدة ومتنوعة حجماً وأسلوباً).

ويعتقدون بأنّ حاجة الأُمّة إلى القائدِ الرشيدِ، والوليّ المعصومِ اقتضت أن لا يُكتفى بنصب علي عليه السلام وحده للخلافة والإمامة بعد

رسول الله ﷺ، بل لابدّ من استمرار حلقات القيادة هذه إلى مدة زمنية طويلة، إلى أن تترسخ جذور الإسلام وتُحفَظ أُسسُ الشريعة، وتصان قواعدُها من الأخطار التي هَدّدت وتهدّد كلّ عقيدة إلهية، وكل نظام ربانيّ، ولتعطيَ مجموعةُ الأئمة ـ بما يقومون به من أدوار و ممارسات مختلفة في ظروف متنوعة ـ نماذجَ عمليّة وبرامج مناسبة لجميع الحالات التي قد تمرّ بها الأُمّة الإسلاميةُ فيما بعد.

ويَعتقدونَ بأنّ النبيّ محمّد بن عبد الله ﷺ لهذا السبب ولحكمة عليا، عَيّنَ بأمر الله تعالى أحدَ عشر إماماً بعد عليّ عليه السلام وهم ـ مع عليّ عليه السلام ـ الأئمة الإثنا عشر، الذين وَرَدَت الإشارةُ إلى عددهم، وقبيلتهم (قريش) ـ وليس إلى أسمائهم وخصوصياتهم ـ في صحيح البخاري وصحيح مسلم بألفاظ مختلفة، حيث رويا عن رسول الله ﷺ: «أنّ الدين لا يزال ماضياً/ قائماً/ عزيزاً/ منيعاً ما كان فيهم اثنا عشر أميراً، أو خليفة، كلهم من قريش»، (أو بني هاشم، كما في بعض الكتب، وقد جاءت أسماؤهم في غير الصحاح من كتب الفضائل والمناقب والشِعر والأدب).

و هذه الأحاديث وان لم تنص على الأئمة الإثني عشر، وهم عليّ والأحد عشر من ذريّته، إلاّ أنّها لا تنطبق إلاّ على ما يعتقده الشِيعَةُ الجَعفريةُ، ولا تفسيرَ صحيحَ لها إلاّ بِقولهم. (راجع: خلفاء النبي، للحائري البحراني).

ويَعتقِدُ الشيعةُ الجعفريّةُ بأنّ الأئمة الإثني عشر هم:

الإمامُ علي بن أبى طالب (ابنُ عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصِهرُه على ابنته الزهراء عليها السلام).

والإمامُ الحسن والإمام الحسين (ابنا عليّ وفاطمة، وسبطا رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم).

والإمامُ زين العابدين عليّ بن الحسين (السجاد).

والإمامُ محمّد بن علي (الباقر).

والإمامُ جعفر بن محمّد (الصّادِق).

والإمامُ موسى بن جعفر (الكاظِم).

والإمامُ علي بن موسى (الرّضا).

والإمامُ محمّد بن علي (الجواد التقيّ).

والإمامُ علي بن محمّد (الهادي النقيّ).

والإمامُ الحسن بن عليّ (العسكريّ).

والإمامُ محمّد بن الحسن (المهدي الموعود المنتظر)[1] عليهم السلام.

---

(١) وقد أنشأ أدباء أفذاذ من غير الشيعة ـ من العرب والعجم ـ قصائد مفصّلة حوَت

أسماء الأئمة الاثني عشر كاملة كالحصكفي وابن طولون والفضل بن روزبهان والجامي والعطار النيشابوري والمولوي، وهم من الأحناف والشوافع وغيرهم، نذكر من باب النموذج قصيدتين منها:

الأُولى: للحصكفي الحنفي، وهو من علماء القرن السادس الهجري، يقول فيها:

حيدرة والحسنان بعدهُ ثمّ علي وابنه محمدُ

وجعفرُ الصادق وابنُ جعفر موسى، ويتلوهُ على السيدُ

أعني الرضا ثم ابنُه محمدُ ثم عليٌّ وابنُه المسدّدُ

الحسنُ التالي ويتلو تلوهُ محمدُ بن الحسن المعتقدُ

قوم هُمُ أئمتي وسادتي وإن لَحاني مَعشر وفَنّدوا

أئمة أكرِمْ بهمْ أئمةً أسماؤهم مسرودة لا تُطردُ

هم حججُ الله على عباده وهم إليه منهج ومقصدُ

همُ النهارَ صُوّم لِربّهم وفي الدَياجي رُكّع وسجّدُ

الثانية: وهي لشمس الدين محمد بن طولون من علماء القرنِ العاشر الهجري، وهو يقول فيها:

عليَك بالأئمة الإثني عشرْ من آل بيت المصطفى خيرِ البشرْ

أبو ترابٍ حَسَنٌ حُسينٌ وبغضُ زين العابدين شَينُ

محمدُ الباقرُ كم علمٍ دَرى والصادقُ ادعُ جعفراً بين الورى

موسى هو الكاظمُ وابنُه عليُ لَقِّبْهُ بالرضا وقَدرُهُ عليُ

وأَنّ هؤلاء هم أهل البيت الذين نَصَبهم رسولُ الله محمّد ﷺ ـ وبأمر الله تعالى ـ قادةً للأُمة الإسلامية، لعصمتهم، وطهارتهم من الخطأ والذنب، ولعلمِهمُ الواسع الذي ورثوه عن جدّهم ـ وأمر بمودّتهم ومتابعتهم، إذ قال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٢)، (راجع كتب الحديث والتفسير والفضائل المتّصلة بالصّحاح والمستقلّة عند الفريقين).

ويَعتقِدُ الشيعةُ الجعفريّةُ بأنّ هؤلاء الأئمة الأطهار الّذين لم يسجّلِ التاريخُ عليهم زلّة أو معصية، في القول والعمل، قد خدموا ـ بعلومهم الجمّة ـ الأُمّة الإسلامية، وأغنَوا ثقافتَها، بالمعرفة العميقة، والرؤية الصحيحة في مجال العقيدة، والشريعة والأخلاق والآداب، والتفسير

محمدُ التقيُّ	قلبُهُ معمورُ	عليُّ النّقيُّ	دُرُّهُ منثورُ
والعسكريُّ الحسنُ	المطهَّرُ	محمدُ المهديُّ	سوفَ يظهرُ

راجع كتاب: الأئمة الإثنا عشر، تأليف مؤرخ دمشق شمس الدين محمد بن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هجرية، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجّد. طبعة بيروت.

(١) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٢) سورة التوبة الآية ١١٩.

والتاريخ، وبصائر المستقبل. كما رَبّوا ـ بالأُسلوب القوليّ والعملي ـ ثُلّةً من الرّجال والنِساء الأفذاذ الأخيار الأبرار الذين اعترف الجميعُ بِفضلهم وعِلمهم وحُسن سيرتهم.

ويرونَ بأنّهم وان أُبعِدوا ـ وللأسف ـ عن مَقام القيادة السياسية ـ إلاّ أنّهم أدّوا رِسالَتهم الفكريّة والاجتماعية خيرَ أداء، إذ صانوا مبادِيء العقيدة، وقواعدَ الشريعة من الأخطار.

ولو كانت الأُمّة الإسلامية تفسح لهم المجال بأن يمارسوا الدورَ السياسيّ الذي أعطاهم رسولُ الله ﷺ بأمر الله سبحانه، لَحَصَلت الأمّةُ الإسلامية على سعادتها وعزّتها، وعظمتها كاملةً، ولبقيتْ متحدةً، متفقةً، متوحدةً، لا شِقاق فيها، ولا اختلاف ولا نزاع، ولا صراع، ولا مذابح ولا مجازر، ولا ذلّة ولا صغار. (راجع في هذا المجال كتاب: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر - والذي يقع في ٣ مجلدات - وغيره).

ويَعتقدُون بأنّه ـ ولهذا السبب، ونظراً للأدلة النقليّة والعقليّة الكثيرة المذكورة في كتب العقيدة ـ يجب إتباع، أهل البيت، والتزام طريقتهم، لأنها هي الطريقة التي رَسَمها رسولُ الله ﷺ للأمة، وأوصى بسلوكِها والالتزام بها، في حديث الثقلين المتواتر حيث قال: «إني تاركٌ فيكُمُ

الثَقَلينِ كتابَ الله وعترتي أهل بيتي ما إن تَمَسّكتم بهما لَنْ تضِلوا أبداً» كما رواه مسلم في صحيحه وغيره من عشرات المحدّثين والعلماء في جميع القرون الإسلامية (راجع رسالة حديث الثقلين للوشنوي التي صَدَّق عليها الأزهر الشريف قبل حوالي ثلاثة عقود).

وقد كان مثل هذا الاستخلاف والوصية أمراً رائجاً في حياة الأنبياء السابقين. (راجع: إثبات الوصية للمسعودي، وكتب الحديث والتفسير والتاريخ للفريقين).

ويَعتقد الشيعةُ الجعفرية بأن على الأمّة الإسلامية ـ أعزّها اللهُ ـ أن تناقشَ وتدرسَ هذه الأمور، بعيداً عن السَبّ والشتم، والإيهام والاتهام، والتهويل والتهريج، وأنّ على العلماء والمفكرين من جميع الطوائف والفرق الإسلامية أن يجتمعوا في مؤتمرات علمية، ويدرُسوا بصفاء وإخلاص، وبأُخوة وموضوعيّة ما يقوله اخوانُهم من الشيعة الجعفرية، وما يقيمونَه من أدلة على نظريّتهم، في ضوء كتاب الله والصحيح المتواتر من سنّة رسول الله ﷺ، والعقل الحصيف، والمحاسَبة التاريخية، والتقييم السياسي والاجتماعي العام في عهدِ رسول الله ﷺ وبعده.

ويَعتقدُ الشيعةُ الجعفريّة بأنّ الصحابةَ، ومن كان حول رسول الله ﷺ من الرجال والنساء، خَدموا الإسلام، وبذلوا النَفْسَ والنفيس في

سبيل نشره وإقراره، وأنّ على المسلمين أن يحترموهم، ويثمنّوا خدماتهم، ويترضّوا عليهم.

إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّ جميعهم عدول بصورة مطلَقة، وأنّهم فوق أن تُعرض بعضُ مواقفهم وأعمالهم على محّك النقد، ذلك لأنّهم بشر يخطىء ويُصيب، وقد ذكر التاريخ أنّ بعضَهم شذّ عن الطريق حتى في عهد رسولِ الله ﷺ، بل وصرّح القرآن الكريم بذلك في بعض سوره وآياته مثل سورة المنافقين والأحزاب والحجرات والتحريم والفتح ومحمّد والتوبة).

فلا يعني النقدُ النزيهُ لمواقف بعضهم كفراً، لأنّ ملاكَ الإيمان والكفر واضح، ومحورَهما بيِّن وهو إثبات أو نفي التوحيد والرسالة، والضروريِ والبديهيِ من أمر الدين، كوجوب الصلاة والصوم والحج وحرمة الخمر والميسر وما شابه ذلك.

نعم، يجب صيانة اللسان عن السَبّ والشتم وحفظ القلم عن الإسفاف، فليس ذلك من شأن المسلم المهذّب، المتأسي بسيرة خاتم النبيين محمّد ﷺ، ومع ذلك فإن أكثر الصحابة صالِحُون مُصْلِحُون جَدِيرون بالاحترام، قمينُون بالاكرام.

على أن إخضاعهم لقواعد الجرح والتعديل إنما هو للوقوف على

السنّة النبوّية الصحيحة الموثوق بها مع العلم بتكاثر الكذب والافتراء على رسول الله ﷺ بعده ـ كما يعلم الجميع، وقد أخبر النبيّ ﷺ نفسه بوقوعه ـ وهو ما حدا بعلماء من الفريقين كالسيوطي وابن الجوزي وغيرهما إلى تأليف كتب قيمة للفرز بين الأحاديث الصادرة حقّاً عن النبيّ الكريم ﷺ وبين الموضوعات والمفتراة عليه.

والشِيعةُ الجعفريّةُ يعتقدون بوجود الإمام المهديّ المنتظر، لروايات كثيرة وَرَدت عن رسول الله ﷺ بأنّه من وُلد فاطمة، وأنه تاسع وُلد الحسين عليه السلام، وحيث انّ الوَلَد الثامنَ للحسين عليه السلام هو الإمامُ الحسنُ العسكري وقد تُوفّي عام ٢٦٠ هجرية، ولم يكن له إلاّ وَلَدٌ واحد، اسمُه (محمّد) فهو الإمامُ المهديُ المكنّى بأبي القاسم[1]، وقد راه جمع من ثقات المسلمين وأخبروا بولادته وخصوصياته، وإمامته والنص عليه من جانب والده، وقد غاب عن الأنظار بعد خمس سنوات من ولادته، لأنّ الأعداء أرادوا قتله والقضاء عليه، و لأنّ الله تعالى ادّخره لإقامة الحكومة

---

(١) وفي الصحاح وغيرها من مؤلفات الفريقين أنّ النبيّ ﷺ قال «سيظهَر في آخرِ الزمان رجل من ذريتي اسمه اسمي وكنيتهُ كنيتي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بَعد أن مُلِئَت ظلماً وجوراً».

الإسلامية العادلة الشاملة في آخر، الزمان، وتطهير الأرض من الظلم والفَساد بعد أن تُملأَ منهما.

ولا غرابة، كما لا داعي للعَجَبِ، لطُول عمره، فقد ذكر القرانُ أنّ المسيح عليه السلام حي إلى الآن رغم مرور ١١٧٦ سنة على ميلاده المبارك، وأنّ نوحاً عليه السلام عاش بين قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، وأنّ الخضر عليه السلام لايزال موجوداً.

فالله قادر على كل شيء، ومشيئته ماضية لا رادّ لها ولا دافع، ألم يقل في شأن النبيّ يونس عليه وعلى نبيّنا السلام:

﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[1].

ولقد أقرّ جمع كبير من علماء أهل السنّة الأجلاء بولادة الإمام المهدي عليه السلام ووجوده، وذكروا اسم والديه وأوصافه مثل:

عبد المؤمن الشبلنجي الشافعي في كتابه: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار.

أ. ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي في كتابه: الصواعق المحرقة

---

(١)سورة الصافات الآية ١٤٣ و ١٤٤.

حيث قال عنه: أبو القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمّى القائم المنتظر.

ب. القندوزي الحنفي البلخي في كتابه: ينابيع المودة، المطبوع في الآستانة بتركيّا أيام الخلافة العثمانية.

ج. السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري في كتابه: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، هذا من المتقدّمين.

ومن المتأخّرين الدكتور مصطفى الرافعي في كتابه: إسلامنا، حيث تعرض لمسألة الولادة بإسهاب، وردّ على جميع الإشكالات والاعتراضات الواردة في هذا المجال.

والشيعةُ الجعفريةُ يُصَلّون ويَصُومون ويزكون ويُخَمّسون أموالَهم، ويحجون إلى بيت الله الحرام بمكّة المكرّمة، ويؤدون مناسك العمرة والحج في العمر مرّةً وجوباً، وأكثر من ذلك، استحباباً، ويأمُرون بالمعروف ويَنهَون عن المنكر، ويَتولّونَ أولياء الله، وأولياء نبيّه، ويُعادُون أعداء الله وأعداء نبيّه، ويجاهدُون في سبيل الله كلّ كافر أو مشرك يعلنُ الحرب على الإسلام، وكلّ متآمر على الأمّة الإسلامية، ويُجرُون نشاطاتِهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة والعائلية كالتجارة والإجارة والنّكاحِ والطلاق والإرث

والتربية والرضاع والحجاب وغيرها وفقاً لأحكام الإسلام الحنيف، آخِذين هذه الأحكام ـ عن طريق الاجتهاد الذي يقوم به فقهاؤُهم الأتقياء الورِعون ـ من الكتاب والسنّة الصحيحة، وأحاديث أهل البيت الثابتة، والعقل وإجماع العلماء.

ويرون أنّ لكل فريضة من الفرائض اليوميّة وقتاً معيّناً، وأنّ أوقات الصلوات اليوميّة هي خمسة: (الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء) وأنّ الأفضل هو الإتيانُ بكلّ صلاة في وقتها الخاص، إلا أنّهم يَجمعون بين صلاتي الظهر و العصر، وبين صلاتي المغرب والعشاء، لأنّ رسول الله ﷺ جَمعَ بينهما من دون عذرٍ ولا مرضٍ ولا مطرٍ ولا سَفرٍ ـ كما في صحيح مسلم وغيره ـ تخفيفاً على الأمّة، وتسهيلاً عليها، وهو أمر طبيعي في عصرنا الحاضر.

ويُؤذّنون كما يؤذّنُ سائرُ المسلمين إلاّ أنّهم يأتون ـ بعد: (حيّ على الفلاح) ـ بجملة (حيّ على خيرِ العَمَل) لأنّها كانت في زمن رسول الله ﷺ، وإنما حذفها ـ اجتهاداً ـ عمرُ بن الخطاب بحجة أنها تُصرِفُ المسلمين عن الجهاد، إذا عرفوا أنّ الصلاة هي خير العمل (كما صرح بذل العلامّة القوشجي الأشعري في كتابه شرح تجريد الاعتقاد، وجاء في المصنّف للكندي وكنز العمّال للمتقي الهندي وغيرهم). بينما أضافَ عمرُ

بن الخطاب عبارة (الصّلاةُ خير من النوم)، والحال أنها لم تكن في زمن النبي ﷺ. (راجع كتب الحديث والتاريخ).

وحيث أنّ العبادة ومقدّماتها في الإسلام موقوفة على أمر الشرع المقدس وإذنِه، بمعنى أنه يجب أن يستند كل شيء فيها إلى نص خاص أو عام من الكتاب والسنّة، وإلاّ كان بدعة مرفوضة ومردودة على صاحبها.. لذلك لا يمكن الزيادة والنقصان في العبادات، بل في كل أمور الشرع بالرأي الشخصي.

وأمّا ما يضيفُه الشيعةُ الجعفريّةُ بعد (أشهَد أنّ محمّداً رسولُ الله) إذ يقولون: (أشهدُ أنّ عليّاً وليُ الله)، فهو لِروايات وَرَدت عن رسول الله وأهل البيت صلوات الله عليهم، تُصرِّح بأنّه ما ذكرت جملة (محمّد رسول الله) أو كُتِبت على باب الجنة إلاّ وأردفت بجملة: (عليّ وليّ الله)، وهي جملة تنبيء عن أنّ الشيعة لا يقولون بنبوّة علي عليه السلام، فضلاً عن القول بأُلوهيته وربوبيّته والعياذ بالله.

فلذلك جاز ذكرُها إلى جانب الشهادتين رجاء أن تكون مطلوبةً من قِبل الله تعالى، ولا يؤتى بها بقصد الجزئية أو الوجوب وهذا هو ما عليه الأغلبية الساحقة من فقهاء الشيعة الجعفرية.

ولهذا فانّ هذه الزيادة التي يُؤتى بها لا بقصد الجزئية كما قلنا، لا تُعدّ من قبيل ما لا أصل له في الشرع فلا تكون بدعةً.

٨. ويسجدون على التراب (والصعيد) أو على الحصى، أو على الصخر وغير ذلك من أجزاء الأرض ونباتها (كالحصير)، دون الفراش والقماش والمأكول والحليّ، لروايات كثيرة وردت في كتب الشيعة والسنّة بأنّ رسولَ الله ﷺ كان من دأبه السجود على التراب أو الأرض، بل ويأمر المسلمين بذلك، ومن ذلك أنّ بلالاً سَجَد ذات يوم على كور عمامته اتقاء الحرّ اللافح، فأزال النبي ﷺ بيده عمامة بلال من جبينه وقال: ترّب جبينك يا بلال.

وذكر مثل هذا لصهيب ولرباح، إذ قال: تَرّبْ وجهك يا صهيب وتَرّبْ وجهك يا رباح (راجع البخاري، وكنز العمال، والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني، والسجود على الأرض لكاشف الغطاء).

ولأنّ النبيَّ ﷺ قال ـ كما في صحيح البخاري وغيره ـ: «جُعِلَتْ لي الأرضُ مَسجداً وطهوراً».

ولأنّ السجود على التراب ووضع الجبين عند السجدة على الأرض هو الأنسب للسجود أمام الله، لأنه أدعى للخشوع وأَقربُ إلى الخضوع أمام المعبود، كما أنه يُذكّرُ الإنسانَ بأصله ومعدنه، أليس قال الله تعالى:

﴿ مِنْها خَلَقْناكُمْ وفِيها نُعِيدُكُمْ ومِنْها نُخْرِجُكُمْ تارَةً أخْرى ﴾[1]؟!

وإنّ السجودَ غايةُ الخضوع، وغاية الخضوع لا تتحقّق، بالسجود على السجّاد والفراش، والقماش والجواهر الثمينة، إنما تتحقق بوضع أشرف موضع في البَدَن وهو الجَبين على أرخص شيء وهو التراب (راجع: اليواقيت والجواهر للشعراني الأنصاري المصري من علماء القرن العاشر).

نَعم، لابدّ أن يكونَ الترابُ طاهراً، ولهذا يحمل الشيعةُ معهم قطعة من الطّين (وهو التراب الملتزق بعضه ببعض) للتأكّدِ من طهارته. ورُبَما يكون هذا الطين مأخوذاً من أرض مباركة كأرضِ كربلاء التي استُشهِدَ فيها الإمامُ الحسين سبطُ رسول الله ﷺ تبركاً، كما كان بعض الصّحابة يأخُذون من حصى مكّة للسُجود عليها في أسفارهم، تبرّكاً (راجع المصنف للصنعاني).

ولكن لا يُصِرُّ الشيعةُ الجعفريّة على هذا، ولا يلتزمون به دائماً، بل يَسجُدون على أيّ صخرة نظيفة طاهرة مثل بلاط المسجد النبويّ الشريف، وبلاط المسجد الحرام بلا إشكال ولا تردد.

---

(١) سورة طه الآية ٥٥.

كما أنّهم لا يضعون يدهم اليمنى على اليد اليُسرى في الصلاة، لأنّ النّبي ﷺ لم يفعل ذلك، ولأنه لم يثبت ذلك بالنص القاطع الصريح، ولهذا لا تفعله المالكية أيضاً (راجع البخاري ومسلم وسنن البيهقي، ولمعرفة رأي المالكية راجع بداية المجتهد لابن رشد، القرطبي المالكي وغيره).

ويَتوضّأ الشيعة الجعفريّة بغسل أيديهم من المرافق إلى رؤُوس الأصابع لا العكس، لأنّهم أخذوا كيفية الوُضوء من أئمة أهل البيت: وهم أخذوه عن رسول الله ﷺ وهم أدرى من غيرهم بما كان يفعلُه جَدهم، وقد كان رسول الله ﷺ يفعل هكذا، وقد فسّروا «إلى» في آية الوضوء ـ المائدة، الآية ٦، بـ (مع)، كما فعل ذلك الشافعي الصغير في كتابه: (نهاية المحتاج).

كما أنّهم يمسَحون أرجلَهم ورؤوسَهم ولا يغسلونها في الوضوء لنفس السبب الذي ذكرناه، ولأنّ ابن عباس قال: الوضوء غَسلتان ومسحتان، أو مَغسولان ومَمسوحان، (راجع السنن والمسانيد، وراجع تفسير الفخر الرازي عند تفسير آية الوضوء).

ويقولون بجواز زواج المتعة لنصّ القران الكريم به إذ قال: ﴿ فَمَا

اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[1]، ولأنه فَعَلَه المسلمون في عهد رسول الله ﷺ وفعَله صحابتُه إلى منتصف عهد خلافة عمر بن الخطاب، و هو زَواج شرعي يشارك الزواجَ الدائم في:

أ. أن تكون المرأةُ غيرَ ذات بعل، وفي إجراء الصيغة المتكوّنة من الإيجاب من جانب المرأة والقبولِ من جانب الرجل.

ب. وفي وجوب إعطاء مال إلى المرأة يسمّى في الدائم: المَهر، وفي المتعة: الأجر، بنص القرآن كما مرّ أعلاه.

ج. وفي وجوب اتخاذ العدّة من جانب المرأة بعد حصول انفصال الزوج عن الزوجة.

د. وفي وجوب العِدّة بعد المفارقة، والتحاق الوَلَد بالوالد، ووجوب أن يكون الزوج واحداً لا أكثر.

ه. وفي التوارث بين الوَلَد والوالد، والولد والوالدة وبالعكس أيضاً.

و. يفارق الزواجَ الدائمَ في تعيين مدة في الزواج المؤقّت وفي عدم وجوب النفقة و القسمة على الزوج للزوجة، وعدم التوارث بين

---

(١)سورة النساء الآية ٢٤.

الزوجين، وعدم الحاجة إلى الطلاق من أجل الانفصال، بل يكفي انقضاء المدّة المقررة أو التنازل عن بقية المدة المذكورة في نص العقد لها.

وحكمة تشريع هذا النمط من الزواج هي الاستجابة المشروعة والمشروطة لحاجة الرجال والنساء الجنسيّة لمن لا يستطيع القيام بكل لوازم الزواج الدائم، أو حُرِم من الزوجة، لوفاة أو سبب آخر وبالعكس، مع إرادة العيش بكرامة وشرف، وبالتالي فالمتعة في الدرجة الأولى حل لمعضلة اجتماعية خطيرة، ولمنع وقوع المجتمع الإسلامي في مستنقع الفساد والإباحية.

وقد يستفاد منها لأغراض التعارف المشروع قبل الزواج، وهو بالتالي يمنع من اللقاء الحرام، والزنا، والكبت الجنسي أو استخدام الأمور الأخرى المحرّمة كالاستمناء بالنسبة لمن لا يُطيق الصبرَ على زوجة واحدة، أو لا يمكنه إدارة زوجة ـ أو أكثر من زوجة ـ اقتصادياً ومعيشياً وفي نفس الوقت لا يريد الحرام.

وعلى كلّ حال، فانّ هذا الزواج يستند إلى الكتاب والسنّة، وعمِل الصحابةُ به ردحاً من الزمن، ولو كان زنا لكان معناه أنّ القران والنبي والصحابة قد أحلّوا الزِّنا وارتكب فاعله الزنا مدّة من الزمن، والعياذ بالله.

هذا مضافاً إلى أنّ نَسخه لا يستند إلى الكتاب والسنّة، ولم يقمْ عليه دليل قاطع وصريح[1].

على أنّ الشيعة الإمامية وان كانوا يبيحون ويحلّون هذا النوع من النكاح المشرّع والمشروع بنص الكتاب والسنّة الاّ أنّهم يرجّحون النكاح الدائم وإقامة العائلة لكونها أساس المجتمع القويّ السّليم، ولا يميلون إلى الزواج المؤقت المسمى في الشريعة بالمتعة مع كونها ـ كما قلنا ـ حلالاً مشروعاً.

وبالمناسبة، فانّ الشيعة الإمامية ـ انطلاقاً من الكتاب والسنّة وتعاليم وتوصيات أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ يكِنّون كل احترام للمرأة، ويقيمون لها وزناً كبيراً، ولهم في مجال مكانة المرأة وشؤونها وحقوقها وبخاصة في صعيد التعامل الأخلاقي معها والمِلكية والنكاح والطلاق والحضانة والرضاع والعبادات والمعاملات أحكام رائعة وجديرة بالاهتمام في روايات أئمتهم وفقههم.

ويحرّم الشيعةُ الجعفرية: الزنا، واللّواط، والرّبا، وقتلَ النفس

---

(١) راجع كلّ أحاديث المتعة في الصحاح والسنن والمسانيد المعتبرة عند المذاهب الإسلامية المختلفة.

المحترمة، وشرب الخمر، والقمار، والغدر، والمكر، والغِشّ والخديعة، والإحتكار، والتطفيف، والغصب، والسرقة، والخيانة، والغِلّ، والغِناء والرقص، والقذف، والتهمة، والنميمة والفساد، وإيذاء المؤمن، والغيبة، والسبّ والفحش، والكِذب والبهتان وغير ذلك من الكبائر والصغائر، ويحاولون ـ دائماً ـ الابتعاد عنها، وتجنّبها ما أمكن. ويسعون جهدَهم لمنعها في المجتمع بالوسائل المختلفة كتأليف ونشر الكتب والكراسات الأخلاقية والتربوية، وإقامة المجالس والمحاضرات، وخطب الجمعة و....

ويهتمّون بفضائل الأخلاق ومكارمها، ويعشقون المواعظ، ويُبادرون إلى استماعها، ويعقِدون لذلك المجالسَ والحلقات في البيوت والمساجد والساحات، في المواسم والمناسبات رَغبةً في الاتّعاظ، ومن هنا يهتمون بأدعية جليلةِ الفائدة، عظيمةِ المحتوى، وردت عن رسول الله ﷺ والأئمة الطاهرين من أهل بيته مثل: دعاء كُمَيْل، ودعاء أبي حمزة، ودعاء السمات، ودعاء الجوشن الكبير[1]، ودعاء مكارم الأخلاق، ودعاء الافتتاح (الذي يُقرأ في شهر رمضان) وهم يقرأون هذه الأدعية والمناجيات الرفيعة المضامين في خشوع وروحانية، وفي حالة خاصة من

---

(١)وهو يضم ألفَ اسم من أسماء الله في نَسَق رائع ومؤثّر.

البكاء والضّراعة، لأنها توجب تهذيب نفوسهم، وتقربهم إلى الله (وهذه الأدعية موجودة في موسوعة تحت عنوان موسوعة الأدعية الجامعة صدرت مؤخراً، كما هي موجودة كذلك في كتب الأدعية، المتداولة بينهم والمعروفة في أوساطهم).

وهُم يَهتمون بقبُور ومراقد النبيّ ﷺ، والأئمة من أهل بيته المطهرين وذريّته الطيّبين المدفونين في البقيع، بالمدينة المنورة حيث مرقد الإمام الحسن المجتبى، والإمام زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق. وفي النّجف الأشرف حيث مرقد الإمام عليّ عليه السلام. وكربلاء حيث مرقد الإمام الحسين بن علي عليه السلام وإخوته وأبنائه وأبناء عمومته، وأصحابه الذين استشهدوا معه يوم عاشوراء. وفي سامراء حيث مرقد الإمام الهادي والعسكري عليهما السلام. وفي الكاظمية حيث مرقد الإمامين الجواد والكاظم عليهما السلام، وكل ذلك بالعراق. وفي مدينة مشهد بإيران حيث مرقد الإمام الرضا عليه السلام. وفي قم، وشيراز حيث مراقد أبنائهم وبناتهم، وفي دمشق حيث مرقد بطلة كربلاء السيدة زينب. وفي القاهرة حيث مرقد السيدة نفيسة (وهي من كرائم أهل البيت). وذلك احتراماً لرسول الله ﷺ، لأنّ الرجلَ يُحفَظ في وُلده، وتكريم ذرية الرّجُل تكريم له، ولأنّ القران الكريم مدح آل عمران، وآل

يس وآل إبراهيم وآل يعقوب وأشاد بهم، وكان بعضهم غير أنبياء، وقال: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ ﴾[1].

ولأنّ القران لم يعترضْ على مَن قالوا: ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِداً ﴾[2] أي لَنبنِيَنّ ونقيمَنّ على مراقد أصحاب الكهف مسجداً، لِيُعْبَدَ الله إلى جانبهم، ولم يصف عملهم بالشّرك، لأنّ المسلم المؤمنَ يركع ويسجُد لله ويعبده وحده، وإنما يأتي بذلك إلى جانب ضريح هؤلاء الأولياء المطهّرين الطيبين لتقدّس المكان بهم، كما حصلت لمقام إبراهيم قداسة وكرامة فقال الله تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلّى ﴾[3].

فليسَ من صلّى خلف المقام يكون قد عَبَدَ المقامَ، ولا من تعبّد الله بالسعي بين الصفا والمروة يكون قد عبد الجبلين، إنما اختار الله لعبادته مكاناً مباركاً مُقدّساً ينتسب إلى الله نفسه في المآل، فانّ للأيام والأمكنة قداسة كيوم عرفة، وأرض منى، وأرض عرفات، وسبب قداستها هو انتسابها إلى الله تعالى.

---

(١)سورة آل عمران الآية ٣٤.

(٢)سورة الكهف الآية ٢١.

(٣)سورة البقرة الآية ١٢٥.

ولهذا السّبَب أيضاً، يهتم الشيعةُ الجعفريّةُ ـ كغيرهم، من المسلِمين الواعين المدرِكين لَشأن رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين ـ بزيارة مراقدِ أهل البيت عليهم السلام، تكريماً لهم، ولأخذ العبرةِ منهم وتجديداً للعهد معهم وتأكيداً للقيم التي جاهدوا من أجلها، واستشهدوا للحفاظ عليها، لأنّ الزوار لهذه المراقد يذكرون في هذه الزيارات فضائل أصحابها، وجهادهم وإقامتهم للصلاة وايتاءهم للزكاة، وما تحمّلوا في طريق ذلك من الأذى والعذاب، مضافاً إلى مشاطرة النبيّ الكريم ـ بهذا التعاطف مع ذريته المظلومين ـ حُزْنَهُ ﷺ عليهم.

أليس هو القائل في قضية استشهاد حمزة: «ولكنّ حمزةَ لا بواكي له» (كما في كتب التاريخ والسيرة)؟ وأليس هو بكى في موت إبراهيم ولده العزيز؟ وأليس كان يقصد البقيعَ لزيارة القبور؟ وأليس هو القائل: «زوروا القبور فانها تذكّرُكُمْ بالآخرة»[1]؟

نعم، إنّ زيارة قبور الأئمّة من أهل البيت النبويّ وما يُذكَر فيها من سيرتهم ومواقفهم الجهادية تذكّر الأجيالَ اللاحقة بما قدّمه أولئك العظماء في سبيل الإسلام و المسلمين من تضحيات جِسام، كما وتزرع فيهم روحَ الشّجاعة والبَسالة والإيثار، والشهادة في سبيل الله.

---

(١)شفاء السقام للسبكي الشافعي ١٠٧، ومثله في سنن ابن ماجة ١ / ١١٧ .

انه عَمَل إنساني حضاري عقلائيّ، فالأمم تخلّد عظمائها، ومؤسسي حضاراتها، وتحيي مناسباتهم بكلّ شكل ولون، لأنّ ذلك يبعث على الافتخار والإعتزار بقيمهم، ويزيد من التفاف الأمم حولها وحول قيمها. وهذا هو نفس ما أراده القران عندما أشاد في آياته بمواقف الأنبياء والأولياء والصالحين وذكر قصصهم.

والشيعة الجعفريّة يَستشفِعُون برسول الله ﷺ والأئمة من أهل بيته المطهرين ويتوسّلون بهم إلى الله تعالى، لمغفرة الذنوب، وقضاء الحوائج، وشفاء المرضى، لأنّ القران هو الذي سَمَح بذلك بل دعى إليه، حيث قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

وقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[2] وهو مقام الشفاعة.

فكيف يُعقَل أن يُعطىَ الله لنبيّه الكريم مقام الشفاعة للمذنبين، ويعطيه مقامَ الوسيلة لذوي الحاجات ثم يمنع الناسَ، من طَلَب الشفاعة منه، أو يحرم النبيّ من الإستفادة من هذا المقام؟!

---

(١) سورة النساء الآية ٦٤.

(٢) سورة الضحى الآية ٥.

أليس الله تعالى حكى عن أولاد يعقوب أنّهم طلبُوا الشفاعة من والدهم وقالوا له: ﴿يا أَبانَا اسْتَغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا إِنّا كُنّاخاطِئِينَ﴾[1] فلم يعترض عليهم ذلك النبيُ الكريمُ المعصومُ بل قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾[2]؟

و لا يمكن لأحد أن يدّعي أنّ النبيّ والأئمة صلوات الله عليهم أموات، فطلَبُ الدعاء منهم لا يفيد، وذلك لأنّ الأنبياء أحياء وخاصّة رسول الله ﷺ، الذي قال عنه سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3] أي شاهداً.

وقال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والْمُؤمِنُون﴾[4].

وهذه الآية جارية ومستمرة إلى يوم القيامة جريانَ الشمس والقمر، واستمرار الليل والنهار.

وأيضاً لأنّ النبي والأئمة من أهل بيته شهداء،والشهداء، أحياء، كما قال الله تعالى أكثر من مرة في كتابه العزيز.

---

(١)سورة يوسف الآية ٩٧.

(٢)سورة يوسف الآية ٩٨.

(٣)سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٤)سورة التوبة الآية ١٠٥.

والشيعة الجعفريّـةُ يحتفلـون بمواليـد النبـيّ والأئمـة من أهـل بيتـه صلوات الله عليهم أجمعـين، ويقيمـون المـآتم في وفيـاتهم، ذاكِـرين فيهـا فضائلَهم ومناقبَهم ومواقِفَهم الرشيدةَ، التي وَرَدت بالنَقل الصّحيح تبعـاً للقران الذي ذكر مناقب النبيّ ﷺ وغيره من الرسل، وأشادَ بها، ولَفَـتَ الأنظارَ إليها للاتّساء والاقتداء، وللاعتبار والاهتداء.

نعم، يتجنّبُ الشيعةُ الجعفريّةُ في هذه الاحتفالات الأفعالَ المحرّمـة، كالاختلاط المحرّم بين الرّجال والنّساء وأكلِ المحـرّم وشربـه، والغُلـوّ في المـدح والثّنـاء[1]، وغيرهـا مـن التـصرّفات الّتـي تتنـافى وروحَ الـشريعة الإسلامية المقدّسة، وتتجاوز حدودَها المسلَّمة، أو لا تنطبق عليهـا آيـة أو رواية صحيحة، أو قاعدة كليّة مستنبطة من الكتـاب والـسنّة بالاسـتنباط الصحيح.

ويستفيدُ الشيعةُ الجعفريةُ من كُتـب تَحتـوي عـلى أحاديـث الرّسـول الأكرم و أهل بيته المطهّرين صَلَواتُ الله عليهم، أجمعـين مثـل: «الكـافي»

---

(١)والغلوّ هو رفع إنسان إلى مستَوى الألُوهيّة أو الربُوبيّة، أو اعتقاد أنه يفعل شيئاً مّا مستقلاً عن المشيئة الإلهية وإذن الله تعالى، كما يفعل النصارى واليهود في حق أنبيائهم.

لِثقة الاسلام الكُليني، و «من لا يَحْضُرهُ الفقيهُ» للشيخ الصّدوق، و «الإستبصار» و «التهذيبِ» للشيخ الطوسيّ، وهي كُتب قيّمة في مجال الحديث.

وهذه الكتب، وان احتوت على أحاديث صحيحة إلاّ أنّها ـ رغم ذلك ـ لم يُطلِق عليها أصحابُها ومؤلّفِوُها ولا الشيعة الجعفريّةُ عنوان: الصحيح، ولهذا لا يلتزم الفقهاء الشيعةُ بصحة جميع أحاديثها، بل يأخذون ما تثبت عندهم صحتُه منها، ويتركون مالا يرونه صحيحاً، أو حَسَناً، أو مما يمكن الأخذ به حسبَ تعابير علم الدراية والرّجال وقواعد علم الحديث.

كما يستفيدونَ ـ في مجالِ العقيدة والفقه والدعاء والأخلاق ـ من كتب أُخرى رُويت فيها رواياتَ متنوعة عن الأئمة الطاهرين مثل كتاب: «نهج البلاغة» الذي ألفه السيد الرضيّ رحمه الله من: خطب الإمام علي عليه السلام ورسائلِه وحِكَمِه القصار.

ومثل رسالة «الحقوق» و «الصحيفة السجادية» للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، والصحيفة العَلَوية للإمام علي عليه السلام، و «عيون أخبار الرضا»، والتوحيد، والخصال، وعلل الشرائع، ومعاني الأخبار للشيخ الصدوق رضي الله عنه.

وربما استنَد الشيعةُ الجعفرية إلى أحاديث صحيحة، لرسول الله ﷺ، وَرَدت في مصادر إخوانهم من أهل السنّة والجماعة[1] في مختلف المجالات من دون تعصب، أو تزمّت، وتشهدُ بذلك مؤلفاتُهم قديماً وحديثاً، حيث وردت فيها أحاديث من صحابة النبيّ ﷺ وأزواجه ومشاهير الصحابة وكبار الرواة كأبي هريرة وأنس وغيرهما، بشرط صحّته وعدم معارضته للقران والأثر الصحيح، والعقل الحصيف وإجماع العلماء.

يَرى الشيعةُ الجعفريّةُ بأنّ ما لحق بالمسلمين قديماً وحديثاً من المِحَن والويلات ما كان إلا نتيجة أمرين هما: أوّلا: تجاهُل أهلِ البيت: كقادة مؤهّلين للقيادة، وتجاهل إرشاداتهم وتعاليمهم، وبخاصة تفسيرهم للقران الكريم.

وثانياً: التفرّق والتشتت والاختلاف والتنازع بين المذاهب والفِرَق الإسلامية.

---

(١) ينبغي التنويه ـ هنا ـ بأنّ الشيعة الإمامية هم أهل السنّة أيضاً لأنّهم يأخذون بما جاء في السنّة النبويّة قولا وعملا وإمضاءً، ومنها وصايا النبيّ ﷺ في حقّ أهل بيته ويلتزمون به التزاماً عملياً دقيقاً وعقائدهم وفقههم وكتبهم الحديثية خير شاهد على ذلك وقد صدرت مؤخّراً موسوعة مفصّلة تقع في أكثر من عشر مجلدات تضمّ روايات الرسول الأكرم في مصادر الشيعة تسمى بـ (سنن النبيّ).

ولهذا يسعى الشيعةُ الجعفرية دائماً إلى توحيد صفوف، الأمّة الإسلامية، ويمدّون يد المحبّة والأُخوة إلى الجميع، محترِمين اجتهادات علماء تلك الفرق والمذاهب، وأحكامها.

وفي هذا السبيل، دأبَ علماء الشيعة الجعفرية منذ القرون الإسلامية الأولى على ذكرِ آراء الفقهاء غير الشيعة في مؤلّفاتهم الفقهيّة والتفسيرية والكلامية مثل: «الخلاف» في مجال الفقه، للشيخ الطوسي، و «مجمع البيان» في مجال التفسير، للطبرسي، والذي مدحه أبرز علماء الأزهر.

ومثل «تجريد الاعتقاد» لنصير الدين الطوسي في مجال العقيدة، والذي قام بشرحه علاء الدّين القوشجي الأشعري.

ويرى علماء الشيعةِ الجعفرية البارزون ضرورةَ الحِوار بين علماء المذاهب الإسلامية المختلفة في مجالات الفقه والعقيدة والتاريخ، والتفاهم في قضايا المسلمين المعاصرة، والاجتناب عن التراشق بالتهم، وتسميم الأجواء بالسّباب، حتى تتهيّأ أرضية مناسبة لإيجادِ تقارب منطقي بين فصائل الأمّة الإسلامية وشرائحها المتعدّدة، لسدّ الطريق على أعداء الإسلام والمسلمين، الذين يَبحثون عن الثَغَرات لتوجيه ضربة قاضية إلى كافة المسلمين، من دون استثناء.

وفي هذا السّياق لا يُكفّرُ الشيعةُ الجعفريةُ أحداً من أهلِ القِبلة قطّ، مهما كان مذهَبَه الفقهي ومنحاه العقيدي الاّ ما أجمع، المسلمون على تكفيره، ولا يُعادونهم، ولا يسمحون بالتآمر عليهم، ويحترمون اجتهادات الفِرَق والمذاهب الإسلامية ويرون عَمَلَ من يَنتقل من مذهبه إلى مذهب الشيعة الجعفرية الإمامية مُجزياً ومُسقطاً للتكليف ومُبرِءاً للذمّة، اذا كان قد عمل وفْق مذهبه في الصلاة والصيام والحج والنكاح والطلاق والبيع والشراء وغيرها، فلا يجب عليه قضاء مافات من هذه الفرائض، كما لا يجب عليه تجديد صيغة النكاح أو الطلاق مادام أجراهما وفق المختار من مذهبه.و هم يتعايشون مع إخوانهم المسلمين في كل مكان كما لو كانوا إخوةً وأقارب.

نعم، لا يوافقون المذاهبَ الاستعماريّة كالبهائية والبابيّة والقاديانيّة وما شاكل ذلك، بل يخالفونها ويحاربونها ويحرّمون الانتماء إليها.

وإذا كان الشيعة - أحياناً وليس دائماً - يستخدمون التقية، وهي تعني كتمان ماهم عليه من المذهب والمعتقد، وهو أمر مشروع بنص القرآن الكريم ومعمول به بين المذاهب الإسلامية في ظروف الصراع الطائفي الحاد، فهو لأحد عاملين:

أحدهما: الحفاظ على أنفسهم ودمائهم حتى لا تذهب هدراً.

وثانيهما: الحفاظ على وحدة المسلمين وعدم تعرضها للتصدّع.

ويرى الشيعة الجعفرية أنّ من أسباب تأخّر المسلمين اليوم، هو التخلّف الفكري والثقافي والعلمي والتكنولوجي، وأنّ العلاج يكمُن في توعِية المسلمين رجالاً ونساءً، ورَفْعِ مستواهم الفكري والثقافي والعلميّ بإيجاد المراكز العلمية كالجامعات والمعاهد، والاستفادة من مُعطيات العلمِ الحديث في رفع المشاكل الاقتصادية، والعِمرانية، والصِناعية، وزرع الثقة في نفوس أبناء الأمّة لِدفعهم إلى ميادين العمل، والنشاط إلى أن يتحققَ الاكتفاء الذاتي، ويُقضى على حالة التبعيّة و الذيليّة للأجانب.

ولهذا أسّس الشيعةُ الجعفريةُ، أينما حلّوا ونزلوا، مراكز علميّة وتعليميّة، وأقامُوا معاهد لتخريج اختصاصيّين في مختلف العلوم. كما انخرطوا في الجامعات والمعاهد في كل بَلَد، وتخرّج منهم علماء وفنيّون في مختلف الأصعدة الحيويّة قد نالوا مراكز علمية متقدمة.

٩. يرتبط الشيعةُ الجعفريةُ بعلمائِهم وفقهائِهم عن طريق ما يسمّى بينهم بالتقليد في الأحكام، فإليهم يرجعون في مشكلاتهم الفقهيّة، ويعملون في جميع مجالات حياتهم طبقاً لآراء الفقهاء، لأنّ الفقهاء ـ في عقيدتهم ـ وكلاء آخرِ الأئمةِ الطاهرين ونوّابه العامّين، وحيث أنّ علماءهم وفقهاءهم لا يعتمدون في معايشهم واقتصادهم على الدّول والحكومات،

لهذا يحظَون بثقة، كبيرة وعالية من قبَل أبناء هذه الطائفة الكبرى.

وتؤمّنُ الحوزاتُ العلميةُ الدينيةُ ـ وهي مراكز لتخريج الفقهاء ـ حاجاتها الاقتصادية من أموال الخمس والزكاة التي يدفعها الناس إلى الفقهاء رغبةً وطواعيةً، وكوظيفة شرعية مثل الصلاة والصيام.

ولوجوب دفع الخمس عند الشيعة الإمامية من أرباح المكاسب أدلة واضحة ورد قسم منها في جملة من الصحاح والسنن أيضاً (راجع كتب مبحث الخمس الاستدلالي عند فقهاء الشيعة).

يرى الشيعةُ الجعفريةُ أنّ من حق المسلمين أن يتمتعوا بحكومات إسلامية تعمل وفق الكتاب والسنّة، وتحفظُ حقوق المسلمين، وتقيمُ علاقات عادلة وسليمة مع الدول الأُخرى، وتحرس حدودها، وتضمن استقلال المسلمين ثقافياً، واقتصادياً وسياسياً، ليكون المسلمون أعزّاء كما أراد الله لهم إذ قال تعالى: ﴿وَللهِ الْعِزَّةُ ولِرَسُولِه ولِلْمُؤمِنِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وأَنْتُمُ الأعْلَوْنَ إنْ كُنْتُم مُؤمِنِين﴾[2].

---

(١) سورة المنافقون الآية ٨.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٩.

ويرى الشيعة أن الإسلام بوصفه الدين الكامل والجامع -يحتوي على منهج دقيق لنظام الحكم، وأن على علماء الأمّة الإسلامية العظيمة أن يجتمعوا ويتباحثوا فيما بينهم لاستجلاء الصورة الكاملة لهذا المنهج، وهذا النظام، ليُخرجوا هذه الأمّة من الحيرة ومن دوامة المشاكل التي لا تنتهي، والله الناصر والمعين.

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾.

هذه أبرز الخطوط في مجال العقيدة والشريعة عند الشيعة الإمامية المسمّاة بالجعفريّة أيضاً.

وهذه الطائفة اليوم يعيش أبناؤها إلى جانب إخوتهم المسلمين في جميع البلاد الإسلامية، وهي حريصة على الحفاظ على كيان المسلمين وعزّتهم، ومستعدة لبذل النفس والنفيس في هذا السبيل.

